

التسكيل الدرامي للإضاءة

زيتوني بومدين

تعتبر الإضاءة المسرحية احد أبرز العناصر التقنية المكونة للعرض المسرحي، من حيث تأثيرها على الأخرى و دورها في إبراز رؤى المخرج، والكشف عن الحالات النفسية للشخصية المسرحية ، فضلا عن تعبيرها عن الحدث المسرحي وتطوره ، إضافة الى منحها العرض سحرا يعبر عن فكرة المخرج ومنطقه الجمالي ، ويضفي على العرض قدرا كبيرا من الجمال البصري الذي يؤثر في المتلقي بشكل ايجابي ، ولا شك أن الإضاءة تعمل على التمييز بين مختلف الأنواع الدرامية ، إذ تكشف في جوهرها عن نوعية المسرحية ، إن كانت تراجميا أو كوميديا أو تاريخية ، حيث تختلف استخدامات الإضاءة من نوع لآخر بحسب ما يفرزه ذلك النوع من القيم جمالية به. 1، و على ذلك فإن وظيفة الإضاءة "هي خلق جو ساحر يعيش فيه الممثلون و تتأكد فيه شخصياتهم ... فالإضاءة هي التي تحقق صفتي الزمان و المكان للنص المسرحي " 2.

الإضاءة:

الإضاءة هي احد العناصر التقنية في تنفيذ العرض المسرحي الى جانب المؤثرات السمعية ، و كانت وظيفتها الاساسية هي ائارة المسرح ثم تطورت عبر الزمن فصارت تستخدم بمنحى درامي ودلالي 3.

وللإضاءة دور كبير و اهمية بالغة في ميدان المسرح فهي " وسيلة الفنان في كافة ما يجري على منصة المسرح و تأكيد اهم ما عليها ، الممثل " . و العناصر الأخرى أيضا تبقى مهمة في العرض المسرحي (الديكور و

الملابس و الأكسسورات والماكياج...) . كما لها تأثير (الإضاءة) مباشر في كل هذه العناصر، "و على قدر نجاح فنان الضوء في عمل التوليفة المناسبة بين هذه العناصر والممثل، على قدر ما يصبح التكوين النهائي للصورة المرئية مريحا للمشاهد و مقنعا له، و مؤثرا فيه "4.

باعتبار الإضاءة وسيطا آخر و السنوغرافيا ، فان تناولها سيكون من ناحية تأثيرها في القيم، التأثير في القيمة التشكيلية من حيث الأبعاد المكانية و الزمنية و كذا التأثير في الحالة الدرامية .

لقد استعمل الإنسان في البداية ضوء النار لطقوسه الدينية، بعدها كانت الشمس كمصدر وحيد للإضاءة المسرحية وفي الاحتفالات الدينية حيث نجد ما دونه (شيلود تشيني) مؤيدا لهذا القول : " لينفك ضوء الصبح يتوالى حتى يبدو المسرح مغمورا في طراوة الصباح الممتعة و صفاءه الباهت الشاحب ، مما تتسم به ألطف ساعات اليوم كله ، إلا ما أبعدها من لحظة هي أروع اللحظات لكي يبدأ التمثيل ".

ثم يعود قائلا : "لقد بدءوا يحتشدون مع طلع الصبح في الهيكل حتى بدا أن المدينة كلها قد اجتمعت هنا في (ديونيزوس) المقدس بجوار المسرح "5.

ثم في القرن السادس عشر ، " كان أول عرض مسرحي مضاء صناعيا في عام 1514 حين قدم (بروسي) مسرحية (كالد ريا) أمام النابليون العاشر . 6

خصائص الإضاءة:

1- طول الموجة: هو "المسافة بين قمة الموجة من الموجات الكهربائية التالية لها " 7. و هناك نوعان من هذه الموجات :

- موجات طويلة.

- موجات قصيرة.

لذا، فإن الإشعاعات تختلف باختلاف طول هذه الموجة. وهناك قاعدة تقول: يتناسب تردد أو سعة الموجة، قل تردد أو سعة الموجة. و كلما قل طول الموجة، زاد تردد أو سعة الموجة. 8.

2- الشدة: يختلف الضوء باختلاف طول شدة طاقته (أي كميته). فمثلا شدة الضوء الصادرة من شمعة واحدة، تقل. عن شدة الضوء الصادر من مصباح كهربائي ولما كان طول الموجة ثابتا لا يتغير، بينما تتغير سعة الموجة.

3- التركيب : الشيء المركب ما هو إلا مجموعة علاقات متآلفة وعلى ذلك يمكن القول بأنه إذا تداخلت الموجات التي يتركب منها الضوء ، فإن لونه يختلف بحسب كمية هذا التداخل . لذا يكون الضوء مركبا من جميع أنواع الموجات أو من نوع واحد منها أو من بعضها.

الوظائف الفنية للإضاءة :

لا شك أن الضوء بكل ما يحمله من خصائص ، هو الأساسي للحياة البصرية فقد ما كانت حكمة الخلق أن تسطع الشمس نهارا لتغمر الكون

في بحر من الضياء ، فأصبحت جزءا من حياتنا اليومية ، و مثار الاهتمام عبر العصور .

لهذا كان الضوء وظائف محددة ، سواء في مجال المسرح أو مجالات أخرى (السينما ، الرسم التشكيلي...) 10.

و لما كان الضوء يخاطب العين و العقل و الوجدان و يسهم في تشكيل الأجسام و ابرازها ، ويهيئ لها الجو الصحيح فان من الممكن أن نحدد له وظائف.

1-سهولة الرؤية:

أولى هذه الوظائف هي أهمها على الإطلاق ، فلولا عنصر الضوء لا انعدمت الرؤية

و استحال تمييز الأشكال أو التعرف على خصائصها وملامسها و تتوقف سهولة الرؤية على عدة عوامل أهمها:

- كمية الإضاءة المغطاة لمنطقة التمثيل .
- نوعية الإضاءة المغطاة لمنطقة التمثيل.
- تتدخل أيضا المسافة بين المنبع الضوئي و المنطقة المضاءة في تحديد الضوء نوعيته.

- أخيرا ، مدى نجاح مصمم الإضاءة في خلق التباين بين اضاءة منطقة التمثيل و اضاءة الخلفية المحيطة بالتمثيل 11.

2-إضاءة التجسيم أو الإيهام بالبعد الثالث:

لأن التنوع في الإضاءة أمر هام في مجال المسرح . اذ من غير المعقول أن تغطي وحدات المنظر و الأثاث بكمية من الضوء تتساوى مع الكمية المسطرة على الممثل. فبالإضافة إلى أهمية الممثل كعنصر اساسي من عناصر العرض فإن الضوء يخاطب العين و العين بدورها تبحث عن التنوع ، لذا فهي تجول في المناطق الضوئية متعددة الكثافة سعياً وراء إدراك أبعاد ما تراه في إطار من الرموز و التجسيم و وسط عمق فراغي حقيق في المسرح ، ووهمي في المنظر التشكيلي للعرض المسرحي .12

من خلال أهمية هذه الوظيفة نستخلص ما يلي :

- الاعتماد على تدريجات الظل والنور يوحى بالتجسيم والاستدارة ، كما أن هذه الطريقة تجعل كلا من العنصرين يؤكد الآخر و يبرزه .
- ضرورة مراعاة قواعد المنظور عند وضع الأشياء على خشبة المسرح.

- يمكن للفنان أن يلجأ الى السلم اللوني و يطوعه لخلق تأثيرات الظل و النور من خلال استخدام ماهيات الألوان ، فيجعل الأصفر يقوم مثلاً مقام النور ، على حين يخصص اللون البنفسجي الداكن أو الأزرق لمحاكاة الظلال.

- يخصص المصمم الضوئي للممثل اضاءة خاصة شديدة التركيز ، على حين يستخدم إضاءات أقل كثافة لكل ما يحيطه من مهمات مسرحية أو مناظر.

- إن استخدام الكاشفات من اتجاهات متعددة يزيد من تنوع زوايا سقوط أشعة الضوء و يحقق ظلالا تضيف نوعا من التجسيم على الأشكال المرئية.

- يجب أن تشمل الخطة الضوئية على بعض اللمسات الجمالية ، و سواء على شعر الممثل أو كتفيه .

- عدم استخدام الستائر كخلفية للممثل ، يراعي أن تضاء بطريقة تسمح بإبراز ملمسها ، و اعطاء الإحساس بأنها شيء صلب متماسك. 13-3- عمل التكوينات مع تأكيد و ابراز العناصر الهامة :

هذه الوظيفة تنقسم الى قسمين :

أ- دور الضوء :

يقسم خشبة المسرح الى مناطق تمثيل رئيسية ، و مناطق فرعية لكل منها إضاءة خاصة بها و المتناسبة مع ما يجري فيها من أحداث ، و تعامل كل منطقة معاملة المسرح بأكمله من حيث أنواع الإضاءة المختلفة ، فقط يراعي المصمم الضوئي اختيار الكاشف المناسب لكل منطقة ، مع التركيز الضوء تركيزا شديدا بحيث لا يتعدى حدود المنطقة التي يجري فيها التمثيل ، حتى لا يكشف المناطق المجاورة .

ب- تأكيد و ابراز الشيء الثابت :

تصميم الخطة العامة للإضاءة مع البداية ، فما أيسر أن يخصص المصمم كاشفا مركزا لهذا الشيء يضاء في اللحظة المطلوبة ، هذه الكمية الإضافية من الضوء ستزيد من وضوح هذا الشيء و تأكيده

، و تجعله مميزا وسط باقي الأشياء أما إذا كان الشيء متحركا ،
كراقصة باليه مثلا ، فان الأمر يختلف لأن الراقصة تتحرك وسط
إضاءة عامة ، و تحصل على نفس القدر الذي يحصل عليه من
كشاف تتبع قوته ألف واط أو ألفان ، يصاحبها في حركتها و يجعلها
في إطار بؤرة من الضوء أبيض أو ملون ، يميزها عن غيرها من
الراقصين و يجذب إليها الأنظار .14

4- خلق الجو العام و الإحاء بالزمن :

هذه الوظيفة من أهم وظائف بعد سهولة الرؤية ، إذ يتوقف نجاح
العرض المسرحي على قدر جودتها ، و قدرتها على مخاطبة عقل و عين و
وجدان المشاهد ، و على قدر نجاح المصمم الضوئي في استخدام
الأسلوب الصحيح و اللغة السهلة البسيطة ، على قدر ما يستوعب
المشاهد كل ما يحتويه النص من مضامين و ما أراد توصيله من مفاهيم .

5- خلق الإحساس بمطابقة الضوء الصناعي لمثيله الطبيعي :

لجأ رجال المسرح يوما الى ابتكار ضوء صناعي يشبه في جوهره
ضوء النهار الطبيعي . وقد حرصوا على أن تأتي اضاءتهم المسرحية مطابقة
لضوء الشمس من حيث الأشعة ، وزوايا سقوطها و كمية الضوء و لونه
أيضا .

ولكي تتطابق الإضاءة الصناعية مع الإضاءة الطبيعية، يجب أن يهتم
فنان الضوء بأمور قد تبدو في نظر بعض الناس، كاختيار الألوان المناسبة
للمؤثر، أو كانتقاء المنبع الضوئي الكفاء المناسب مع المصدر الطبيعي.15

و لاشك لعامل اللون أثره في هذه الوظيفة ، فالطبيعة غنية بدرجات اللون ، وما على المصمم إلا أن ينظر حوله ويقتبس ما يتناسب مع العرض الفني من توليفات لونية ، وبذلك يضع أمام عين المشاهد خطة ضوئية ملونة تحاكي الطبيعة في مكوناتها ودرجات ألوانها.

القيم التشكيلية للإضاءة :

- الهيئة النفسية :

في هذه الجزئية نتعرض لمناقشة زوايا سقوط الضوء في المناظر التشكيلية .

أ- ضوء يأتي من الأمام :

يلجأ مصمم الضوئي الى تسليط الضوء من الأمام . مثل هذا الضوء عندما يسقط على الأشياء، فانه يساعد على تسطيحها، ويجعلها تبدو بيضاء رخامية الملمس بسبب انعدام مناطق الظلال التي تساهم في إضفاء التجسيم على العناصر الأشياء، و الضوء الأمامي يتسبب أيضا في أن تلقي الأجسام والأشياء ظلالها خلفها.

ب- الضوء يأتي من أحد الجوانب :

هذا النوع من الضوء يأتي من أحد الجوانب الخشبية، وغالبا ما يكون المصدر خارجيا و أحيانا يكون في أحد أركان الخشبية. فإذا كانت الخشبية التي تحملها من أشياء و أجسام قريبة جدا من هذا المصدر الضوئي فإن هذا القرب يجعل الجانب المواجه للمصدر الضوئي متميز بالإضاءة كما تبدو ألوانه مشرقة .

و في المقابل نجد أن حدة هذه الإضاءة، تقل تدريجيا الى أن تصل الى منطقة ما لا تصلها أية كمية من الضوء، و هنا يظهر نوع من التباين بين منطقة شديدة الاستضاءة و أخرى حالكة الظلام . هذا التباين يخلق في المتلقي الشعور بنوع من التجسيم والاستدارة الأشياء و الأجسام ، و هذا بالإضافة الى إعطاء الإحساس باندفاع و تقدم الأجزاء المضاءة نحو المتلقي ، و تراجع الأجزاء المظلمة و غوصها في العمق . هاتان الظاهرتان تخلقان في المتلقي شعورا ببروز الشكل و إحساسا بأبعاده الثلاثة .16

ومن خصائص هذا الضوء، خلق الإحساس بدرامية الأشكال والتعبير عن السمات الأشياء و الأجسام. فلو كان المرسوم وجهها إنسانيا مثلا، فإن هذا الضوء سوف يساعد على إبراز ما بالوجه من قسمات و تجاعيد.17

ج- ضوء يأتي من الخلف:

هذا النوع من الإضاءة ينقسم الى نوعين :

1- يأتي من الخلف إلى الأمام ، بحيث تلمس أشعته بعض حواف الأجسام و الأشكال في لماسات (على الشعر والأكتاف) توهي بنوع من الشاعرية .

2- هو ذلك الضوء الذي يوضع خلف الأجسام تماما و في وضع عكسي ، حيث لا تسقط أي أشعة مباشرة منه على هذه الأجسام ، بل يمكن أن تتسرب بعض الأشعة المنعكسة عن هذا الضوء فتجعل الجسم

يبدو في حالة إعتام ، أي لا تظهر سوى حدود الوجه و الجسم الخارجية

د- ضوء من أعلى الى الأسفل :

هذا النوع يستخدمه مصمم الإضاءة بطرق مختلفة تتفق مع كونه يرسم خارج مرسمه أو داخله .

فإذا افترضناه يرسم داخل المرسوم منظرا لغرفة أو أي شيء من القبيل فإن أقرب نموذج له، هو ذلك الضوء المتسلل عبر نافذة أو من أي فتحة أخرى.

أما إذا كان المرسوم خارجيا، فإن شعاع الضوء المرسوم لن يكون على نفس الهيئة السابقة، بل ستكون الأضواء منتشرة غامرة.

هـ- الضوء من الأسفل الى الأعلى :

يمكن تمييز هذا النوع من الضوء القادم من الأسفل إلى الأعلى في نوعين :

1- ضوء يسلطه المصمم على وجوه شخصه في المنظر كي يضيف عليها بعض التغيرات سواء في الهيئة أو الملامح و هو بذلك يضع عنصر الضوء في خدمة الفكرة العامة للمنظر، أو إبراز موضوعها أو تأكيد قيمها الدرامية. هذا الضوء الواصل من الأسفل إلى الأعلى، يجعل

الوجه الإنساني يبدو و كأنه عفريت و شبح أو شرير، حسب زاوية سقوطه و اتجاهه.18

2- ضوء ذاتي ينبع من الشخصية مقدسة مثلاً، و التي تضيء على ما حولها بعضاً من النور.

المصادر و المراجع :

- 1- ينظر : جلال زياد : مدخل إلى السيمياء في المسرح ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان ، 1992 ، ص 96.
- 2- ماري الياس و حنان قصاب، المعجم المسرحي ، ص 38.
- 3- شكري عبد الوهاب: الإضاءة المسرحية، الطبعة الثانية، ملتقى الفكر، الإسكندرية، 2001، ص 358.
- 4- شكري عبد الوهاب: الإضاءة المسرحية، الطبعة الثانية، ملتقى الفكر، الإسكندرية، 2001، ص 359.
- 5- عبد الرحمان الدسوقي: دراساتي الوسائط الحديثة في السينوغرافيا المسرح ، دار الحريري للطباعة ، 2005 ، ص 53
- 6- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 15
- 7- مليكة لويس : الديكور المسرحي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الارشاد و النشر ، الدار العربية للتأليف و الترجمة ، بلا ، ت ، ص 26 .
- 8- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 24 .
- 9- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 27 .
- 10- نبيل راغب : فن العرض المسرحي ، مكتبة لبنان ، الناشر ، الشركة المصرية العالمية لونتجتمان ، القاهرة ، ط 1 ، 1986 ، ص 165 .

- 11- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 32 .
- 12- عثمان عبد المعطي عثمان ، عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي ، م.س ، ص 125.
- 13- جلال جميل محمد: مفهوم الضوء و الظلام في العرض المسرحي مطابع الهيئة المصرية العامة، مصر، طبعة 1، 2005، ص 283.
- 14- هاني أبو الحسن سلام ، سيميولوجيا المسرح بين النص و العرض ، دار الوفاء للطباعة ، ط 1 ، 2006 ، 156.
- 15- نديم معلا محمد : في المسرح في العرض المسرحي ، مركز الاسكندرية للكتاب الطبعة الأولى ، 2000 ، ص 19 .
- 16- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 69 .
- 17- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 71.
- 18- شكري عبد الوهاب : القيم التشكيلية و الدرامية للون و الضوء ، مؤسسة حورس الدولية للنشر و التوزيع ، 2007 ، ص 74 .